■عن منشورات «سندباد، أكت. سيد» بباريس، وضمن سلسلة المكتبة العربية «آداب معاصرة»، صدرت، أخيرا، النسخة الفرنسية لرواية الأديب والناقد المغربي محمد برادة «حيوات متجاورة».

أنجز الترجمة الفرنسية للرواية، التي صدرت في نسختها العربية سنة 2009 ، عن دار الفنك بالدارالبيضاء، الكاتبة الفرنسية ماتيلد شيفر بالتعاون مع محمد خونش.

ونزلت «حيوات متجاورة»، التي صدرت في طبعة ثانية عن دار الآداب البيروتية، إلى المكتبات الفرنسية في 13 فبراير الجاري، لتعزز الرصيد السردي لصاحب «لعبة النسيان»، إذ سبق لدار «أكت. سيد»، أن أصدرت ترجمات، «امرأة النسيان» (1993) والضوء الهارب (1998)، و» مثل صيف لن يتكرر» 2001.

وعن الملابسات التي حفزته على الانخراط في تجربة «حيوات متجاورة»، يقول برادة «الرواية تتيح لي فضاء أوسع للتعبير عن آرائي وهواجسي بحرية، والتمرد عن المقاييس الأخلاقية المتقادمة والأشكال المحنطة».

وأجمع بعض النقاد على فنية العمل وإبداعيته، على مستوى الشكل والمضمون، فيما اعتبر نقاد آخرون الرواية نسخة من أعمال سابقة، مثل «امرأة النسيان» و»صيف لن يتكرر»، مشيرين إلى أن شخوصها غير حيوية، بسبب تركيز برادة على الجانب التقني في أعماله أكثر من الجانب الإبداعي، الذي يجب أن يكون منسابا في العمل، ويجذب القارئ، ولعل هذا ما يجعل أعمال برادة الإبداعية في نظر الكثيرين، مجالا لتجريب أدواته النقدية.

في محاولة للإحاطة بتفاصيل الرواية، يقول الناقد إبراهيم الخطيب إنها «نص متشابك لا يمكن مقاربته إلا من عدة مستويات: مستوى محكي الساردين، مستوى الشخصيات الثلاث، ثم مستوى العلاقات بين هذين المستويين من حيث تداخلها أو تنائيها»، موضحا «عمدت تيمات الرواية، إلى مقاربة الأدب والجنس والحنين والسياسة، باعتبارها مكونات مضمونية تتقاطع عندها مسارات الشخصيات، بل تشكل أحيانا مبررات لتلاقي تلك المسارات. كل ذلك وضعته في إطار تأمل في المسار الروائي لمحمد برادة، حيث يتداخل التخييل والذاكرة ورصد الواقع المتحول من زاوية تحديث الكتابة دون السقوط في شكلانية مفرغة».

من جانبه، أكد النقاد سعيد يقطين، أن «الرواية تتمحور حول قضايا كثيرة وتتشعب إلى مستويين حكائيين، أحدهما يهمين عليه النظام الخارجي، الذي كان مجرد وسيط ينقل التسجيلات التي سلمها له سميح (السارد- المسرود له)، وثانيهما عبارة عن محكيات تجسد الحياوات المتجاورة والمتشابكة التي عاشتها الشخوص»، مبينا أن الأمر لا يتعلق بـ»ثلاث حيوات كما قد نتوهم ظاهريا وإنما بأربع حيوات». ففضلا عن بوح الشخوص الثلاثة (نعمية آيت لهنا، وولد هنية، و عبد الموجود الوارثي) بتجاربها وأهوائها وانكساراتها، يضطلع سميح باستعادة جزء من حياة الروائي، ذاته.

وأفاد الناقد أنور المرتجي، أن محمد برادة وظف في روايته تقنية «(الميتا تخييل أو التخييل الواصف)، الذي يعتمد على التأمل الذاتي في شروط إنتاج الحكاية وعملية توليدها، سواء تعلق الأمر بالشخصيات أو الأحداث أو الموضوعات. وتختلف هذه التجربة الميتاتخييلية عن الكتابة التقليدية العفوية»، لكون الكاتب يعلن عن علاقته الحائرة والمتوترة إزاء طريقة عرضه للحكاية، ولهذا يعمد إلى تقليب سرده للحكاية الواحدة من زوايا مختلفة وبأصوات متعددة، متوخيا الإعلاء من دور التخييلي على حساب الواقعي . وتمثل، بذلك، رواية »حيوات متجاورة »برنامجا مستقبليا لرواية ما بعد الحداثة.

ترصد الرواية وضعا تاريخيا ومجتمعيا محتدما في فترة أساسية من زمن المغرب

وفي ملاحظاته المنهجية لمقاربة «حيوات متجاورة» أبرز الناقد محمد الداهي أن «محمد برادة نوع استراتجياته الحكائية وولد أشكالا جديدة تتيح فضاء أوسع لمساءلة الواقع واستنطاق مجاهيل الذات.

وجرب في روايته الأخيرة تقنية المحكي الذاتي، التي مازالت تطرح مصاعب على مستوى التجنيس لكونه يحيل إلى استراتجيات ملتبسة (التخييل الذاتي، السيرة الذاتية، الرواية بضمير الكاتب، اليوميات، المذكرات..). والتبس مع شخصية وهمية أو حقيقية لحرف عييناته السيرذاتية، والتعبير عن مواقفه واستيهماته وآلامه وآماله في منأى عن أشكال الرقابة والوصاية والتلصص».

تدور الرواية، التي تتميز بالبحث في الشكل الروائي وإمكاناته بما يتطلبه من أساليب في التجريب التي تسمح بتصوير الواقع جماليا والكشف عما يتخفى وراء سطوحه، حول قصة نعيمة، البطلة المحورية، مضيفة الطيران المطلقة التي تحفل حياتها بمغامرات عديدة تنتهي بدخولها السجن بسبب إداراتها لشبكة للاتجار بالمخدرات.

فعبر ثلاثة شخوص تمثل ثلاث تجارب إنسانية تبدو في المجمل حكايات لمسارات فردية وذاتية، ترصد الرواية وضعا تاريخيا ومجتمعيا محتدما للحظة أساسية من زمن المغرب. وشأن كتابات محمد برادة السردية، فالرواية تعيد النظر في مسألة الحدود مع اعتماد طرائق حكائية متنوعة، تستند إلى خطة سردية مؤسسة على التداخل وتعدد الأصوات، منتصرة للمنحى التجريبي الرصين، الذي اختطه الكاتب لمشروعه الروائي.

ومحمد برادة من مواليد الرباط سنة 1938 روائي وقاص وناقد أدبي ومترجم، مارس التدريس بجامعة محمد الخامس بالرباط. نشر أول قصة له سنة 1957، وكانت تحت عنوان «المعطف البالي». وشارك في تأسيس اتحاد كتاب المغرب وانتخب رئيسا له في المؤتمر الخامس سنة 1976 والسادس سنة 1979 والسابع سنة 1981.

صدرت له أيضا بعض الترجمات لكتب أدبية ونقدية ونظرية أساسية، لكل من رولان بارت، وميخائيل باختين، وجان جنيه، ولوكليزيو، وغيرهم، كما ترجم لغيرهم العديد من النصوص الأساسية في مجالات مختلفة، وعرفت بعض نصوصه الأدبية أيضا، طريقها إلى الترجمة إلى بعض اللغات الأجنبية.

حصل على جائزة المغرب للكتاب، في صنف الدراسات الأدبية، عن كتابه النقدي «فضاءات روائية» ●